المحاضرة الحادية عشر

المحور الثالث: الفكر الاقتصادي الأوروبي الحديث (الفكر الرأسمالي)

ثالثا: الفكر الكلاسيكي (المدرسة الكلاسيكية Classical School). ظهرت المدرسة الكلاسيكية خلال الفترة (1776- 1871) –مرحلة الرأسمالية الصناعية- وهي فترة إعلان الثورة الصناعية في انجلترا، والتي تعني "الانتقال من الصناعة اليدوية إلى الصناعة الآلية عن طريق تحولات كيفية في فنون الإنتاج وطرق تنظيمه بالانتقال إلى نظام المصانع القائم على التقسيم الفني للعمل" مما أدى إلى بلورة علاقات الإنتاج في المجتمع الرأسمالي، أين يتركز الإنتاج الصناعي في عدد من المصانع التي يمتلكها أصحاب رؤوس الأموال، وتجمع كل منها عددا كبيرا من العمال يقومون بالإنتاج. وأدى نظام المصانع إلى زيادة نفوذ أصحاب رؤوس الأموال وسيطرتهم على معظم عوامل الإنتاج. كما أدى هذا التحول إلى خلق طبقة جديدة وهي طبقة المديرين لإدارة المشروعات فبدأت المشاريع في التوسع من أجل زيادة الأرباح.

وقد لعبت"ثورة المواصلات"- النقل البحري والسكك الحديدية- وما أتاحته من اتصال بأبعد المناطق دورا خطيرا في فتح هذه المناطق وغزوها بالمنتجات الصناعية الجديدة. كما شهدت هذه المرحلة أيضا بداية تنظيم الاقتصاد العالمي لأول مرة في التاريخ، حيث كان المبدأ الأساسي هو التقسيم الدولي للعمل بين مجموعة صغيرة من البلدان الرأسمالية الصناعية في جانب، والبلدان الأخرى (المستعمرات في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية) والتي كانت تعيش في مرحلة سابقة عن الرأسمالية في جانب آخر، فأصبحت مصدرا للمواد الخام التي تحتاجها المجموعة الأولى في صناعاتها، وسوقا للمنتجات الصناعية التي لا تستطيع إنتاجها بنفسها. وانتقلت رؤوس الأموال بحرية بين الدول في النطاق الذي يوفره الغطاء الذهبي الذي ازداد دوره في تنظيم العلاقات الاقتصادية بين البلدان بدءا من عام 1870 وأصبح النظام النقدي المعمول به بعد أن زالت الصفة النقدية عن الفضة. وهكذا انكشف اتجاه واضح إلى تدويل الحياة الاقتصادية وزاد اعتماد الصناعة على الخارج، فقد أصبحت السوق المحلية أضيق من أن تفي باحتياجات تنمية الإنتاج فكان لابد من إدخال السوق الخارجية لتصبح امتدادا للسوق الداخلية. ومن ثمّ أخذت الرأسمالية على عاتقها عن طريق الصناعة الآلية إخراج عملية الإنتاج من حدود البلد الواحد إلى العالم كله.

صاحب كل هذه التطورات تطور في الفكر الاقتصادي، حيث غلب على هذه المرحلة مذهب حرية التجارة وحياد المالية العامة على الفكر الاقتصادي، بحيث كان تدخل الدولة محدودا في المجالات الاقتصادية. فالدولة بشكل عام دولة حارسة تؤمن الدفاع الأمن والعدالة، والسوق هو الذي يقوم بالدور الاقتصادي الرئيسي. وهكذا ظهرت المدرسة الكلاسيكية، والتي يعتبر(Adam Smith) المؤسس الحقيقي لها-ولد في عام 1723 في اسكتلندا، التحق بالجامعة في سن صغيرة حيث توجه إلى غلاسكو ودرس فيها ثم غادرها عام 1740 متوجها إلى جامعة أكسفورد في منحة دراسية، وابتداءً من عام 1748 أصبح محاضرا في جامعة غلاسكو فدرّس المنطق ثم الفلسفة الأخلاقية. وفي عام 1759 نشر كتابه الأول بعنوان "نظرية المشاعر الأخلاقية". في عام 1764 قام (Smith) بجولته الأوروبية التي شملت جنيف وباريس حيث التقى (François Quesnay)، ثم عاد إلى انجلترا عام 1766، وخلال جولته كان يستعد لكتابة مؤلفه الشهير "ثروة الأمم" الذي نشر عام 1776- و يحتوي هذا المؤلف على أهم أفكار وآراء (Smith) حول مفهوم الثروة حيث أوضح أن الثروة تتكون من السلع الأساسية الناتجة عن العمليات الإنتاجية وليس من المعادن النفيسة، وفي تفسيره لنمو الثروة الوطنية تطرق إلى تقسيم العمل وأوضح بأنه يمكن لمجموعة من العمال أن يتخصصوا في إنتاج سلعة واحدة بحيث يتخصص كل فرد في أداء جزء من العملية الإنتاجية وبين أن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى زيادة الإنتاجية. كما تناول أيضا في فصول أخرى من هذا الكتاب المال والقيمة، السوق والسعر الطبيعي، واختتمه بتناوله فئات التوزيع الثلاث: الأجور، الربح، الريع. ويعتبر هذا الكتاب نقطة تحول حقيقية في جعل الاقتصاد علم مستقل بين العلوم. كما أصبح المصدر الرئيسي لإلهام الكثير من

الكتاب الاقتصاديين الكلاسيك، الذين اعتمدوا عليه في وضع المبادئ الأساسية للنظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يرتكز على الفرد في ممارسة النشاط الاقتصادي وعلى الملكية الخاصة وحافز الربح وعلى الحرية الاقتصادية التي تضمن المنافسة الحرة.

I- المبادئ العامة للمدرسة الكلاسيكية: تعتمد فلسفة هذه المدرسة على الأركان التالية:

1- الفرد هو الوحدة الأساسية للنشاط الاقتصادي، ويخضع في ذلك لدافع المصلحة الخاصة التي تمثل المحرك الأساسي لهذا النشاط.

2- اتجاه كل فرد في المجتمع إلى تحقيق مصلحته الخاصة يفضي إلى تحقيق مصلحة الجماعة. وبتعبير سميث "إن الفرد يجد نفسه مسوقا بيد خفية لتحقيق غاية لم يكن يقصدها قط". وتوحي المقولة بأن سميث يعتقد بالتوافق الطبيعي بين المصلحة الذاتية للفرد والمصلحة العامة للمجتمع أي (أن المصلحة العامة تتحقق بصورة تلقائية لو أن الفرد يمارس عمله بدافع من مصلحته الخاصة)

3- وجود قوانين طبيعية تحكم النشاط الاقتصادي، اعتقاد الكلاسيك بذلك ناتج عن تأثرهم بأفكار المدرسة الطبيعية. ولهذا فإن الكلاسيك لا يبيحون تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية. ويرى سميث أن تدخل الدولة الواسع النطاق في الحياة الاقتصادية لابد أن يعود بالضرر الكبير على المجتمع ولهذا أكّد أن أي نظام اقتصادي لا يرفع شعار الحرية الاقتصادية وعدم التدخل الحكومي لا بد أن يؤدي إلى الانتقاص من إمكانيات المجتمع للنمو والتطور والرفاهية. وميز سميث في كتابه ثروة الأمم بين ثلاثة أنواع رئيسية من وظائف الدولة والتي برأيه يجب على الدولة أن يقتصر دورها على هذه الأنواع الثلاثة فقط وهي:

- الدفاع الخارجي ضد العدو؛
- إدارة القانون والعدالة وحماية الأفراد والحفاظ على الحقوق والملكية الفردية؛
- إنشاء المشاريع العامة التي لا يمكن أن يكون من صالح أي فرد أو مجموعة من الأفراد القيام بإنشائها والحفاظ عليها؛

4- دعم النظام الرأسمالي: أخذ الكلاسيك بالنظام الرأسمالي . والنظام الرأسمالي من وجهة نظرهم أفضل الأنظمة الاقتصادية وحجتهم في ذلك:

- أنه نظام طبيعي يستجيب للخصائص الطبيعية للنفس البشرية التي تفضل الحرية وتسعى وراء تحقيق المصلحة الذاتية وتحب التملك؛
- يتحدد الإنتاج فيه وفقا لرغبات المستهلكين بفضل جهاز الثمن (السوق)؛
- المنافسة فيما بين المنتجين التي تضمنها الحرية الاقتصادية تؤدي إلى تنمية الجهاز الإنتاجي وإلى تخفيض تكاليف الإنتاج وتحسين نوعية السلع وزيادة عرضها، مما يخفض من أسعارها فتزيد بذلك الرفاهية الاقتصادية لجميع أفراد المجتمع؛

5- جوهر الاقتصاد الكلاسيكي هو قانون ساي (المنافذ)، حيث إن العرض يخلق الطلب المساوي له.

6- كما ساد اعتقاد لدى الكلاسيك أن النظام الاقتصادي الرأسمالي يعمل بشكل تلقائي ويصحح نفسه بنفسه، فالمرونة في كل من الأسعار والأجور والفائدة سوف تعمل على تحقيق التوازن، وبالتالي فإن كل من ظاهرة البطالة والإنتاج الزائد عبارة عن ظروف مؤقتة.

II- التحليل الاقتصادي في الفكر الكلاسيكي: اشتمل التحليل الاقتصادي للمدرسة الكلاسيكية على مجموعة من النظريات الاقتصادية المختلفة. فيما يلي شرح موجز لأهم هذه النظريات:

1- **نظرية الإنتاج وثروة الأمم:** إذا كانت الثروة عند التجاريين تأتي من التجارة الخارجية على وجه الخصوص، وتأتي من النشاط الزراعي عند الطبيعيين على وجه الخصوص، كذلك فإن العمل هو مصدر كل نشاط اقتصادي عند الكلاسيك، حيث يقول آدم سميث" إن العمل السنوي الذي يقوم به كل شعب هو الرصيد الذي يمده بكافة ضروريات الحياة وكمالياتها مما يستهلكه كل سنة". ولكن آدم سميث ميز بين نوعين من العمل: عمل منتج وعمل غير منتج، والعمل المنتج حسب رأيه هو كل عمل نحصل من ورائه على أشياء مادية وملموسة. والاختلاف مع الفيزيوقراط أنه ضم القطاع الصناعي إلى جانب القطاع الزراعي. والثروة بالنسبة إليه كل المنتجات المادية الملموسة التي تعمل على إشباع الحاجة والقابلة للتجديد

ومصدرها العمل المنتج. وبذلك يؤكد على الفكرة القائلة أن الثروة لا تنتج إلا في مجال الإنتاج المادي والتجارة والخدمات قطاعات لا تضيف شيئا للثروة.

لكن الكلاسيك الذي جاؤوا بعده رجعوا عن هذا المفهوم واعترفوا بان الخدمة من النشاطات المنتجة وعرفوا الإنتاج على أنه خلق المنافع وزيادتها. والثروة عندهم هي إنتاج السلع والخدمات، والعمل البشري هو المصدر الرئيسي لهذه الثروة.

وقد اهتم الكلاسيك في نظرية الإنتاج بناحيتين:

أ- **ظاهرة تقسيم العمل**: يرى الكلاسيك وعلى رأسهم آدم سميث أن الزيادة في الثروة تتحقق من خلال الزيادة في إنتاجية العمل، وأن تقسيم العمل هو الوسيلة الرئيسية لزيادة إنتاجية العمل وبالتالي زيادة الثروة. وتقسيم العمل عند سميث يعني تقسيم عملية إنتاج أي سلعة إلى عمليات جزئية يتخصص كل فرد في مجموعة العمل في أداء عملية واحدة من هذه العمليات الجزئية المتتابعة مما يؤدي إلى: زيادة الإنتاجية؛ توفير الوقت؛ اختصار جهد العامل؛ إدخال تحسينات فنية في عملية الإنتاج والتحفيز على الابتكار والاختراع. ومن ثمّ زيادة كبيرة في الإنتاج وتحسين نوعيته.

ب- **قانون تناقص الغلة:** يعود الفضل في اكتشاف هذا القانون إلى دافيد ريكاردو* و ينص هذا القانون على أنه إذا كان هناك عنصر ثابت من عناصر الإنتاج (الأرض مثلا) والعناصر الأخرى متغيرة (العمل ورأس المال) فإن تشغيل دفعات متتالية ومتساوية من هذه العناصر مع العنصر الثابت سيؤدي إلى تزايد كمية الإنتاج في بادئ الآمر، بيد أن كمية التزايد في الإنتاج ستستمر في الارتفاع حتى بلوغ حد معين ثم تأخذ في النقصان تدريجيا بعد تجاوز هذا الحد(زيادة الناتج الكلي بنسبة اقل من زيادة العنصر المتغير). كان الكلاسيك يعتقدون أن هذا القانون ينطبق على الزراعة فقط، إلا أن الاقتصاديين المحدثين أثبتوا أن لهذا القانون صفة العمومية فهو ينطبق على التجارة والصناعة أيضا.

2- نظرية السكان: كان آدم سميث قد أعطى صورة جميلة ومتفائلة للمجتمع يسوده التجانس بفعل "يد خفية" تحركهم وتحفظ تماسك المجتمع. ولكن ذهب بعض الاقتصاديين الكلاسيك إلى الإعلان بأن المجتمع المثالي لا يعدو أن يكون سرابا، ومن هؤلاء الاقتصاديين روبرت مالتوس** ودافيد ريكادو، فقد ظهر في انجلترا الفقر والبؤس الناشئان عن الزيادة السريعة في السكان، وكان رأي مالتوس هو وجوب خفض حجم السكان حتى يتناسب مع مستوى المعيشة متأثرا بآراء بعض المذاهب التي تقول أن الثورة الصناعية لم تحقق للطبقة العاملة الخير كما تصور سميث.

ولقد أخذ الكلاسيك بنظرية مالتوس في السكان التي تعتمد على ثلاثة أسس:

أ- حجم السكان محكوم بكمية المواد الغذائية الموجودة؛

ب- تزايد السكان بدرجة تفوق درجة الزيادة في المواد الغذائية، فالزيادة السكانية تتم وفق متوالية هندسية(...2،4،8،16) بينما تتم الزيادة في المواد الغذائية بمتوالية حسابية(...1،2،3،4) ونتيجة لذلك يحدث اختلال بين التزايد في المواد الغذائية والتزايد السكاني؛

ج- هذا الاختلال في التوازن لا يمكن أن يستمر لأن الطبيعة بنفسها لا تسمح بذلك، إذ أنها ستوجد الموانع (الأوبئة، المجاعات، الحروب..) التي تغير هذا الاختلال وتعيد التوازن.

3- نظرية القيمة: فرق الكلاسيك بين القيم الاستعمالية والقيمة التبادلية، الأولى: هي المنفعة التي تعود على الفرد من استعماله لسلعة ما؛ أما الثانية فتتحد حسب الكلاسيك بكمية العمل الذي تحتويه هذه السلعة،

---

* دافيد ريكاردو (1772-1823): اقتصادي وسياسي إنجليزي، يُعدّ من أبرز رموز المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد، وهو مؤلف أحد أهم الكتب في تاريخ الاقتصاد السياسي "مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب"، وصاحب عدة نظريات اقتصادية من أشهرها نظرية "الميزة النسبية" في مجال التجارة الدولية،تأثر ريكاردو بالأفكار الاقتصادية الليبرالية لآدم سميث بعد الاطلاع على كتاب "ثروة الأمم" كما ساهمت صحبته للاقتصاديين جيمس ميل وتوماس مالتوس اللذيْن عاصراه في تطوره الفكري. يعتبر ريكاردو اقتصاديا ليبراليا بجدارة ، ومدافعا عن حرية العمل والتجارة والتبادل الحر بين الأمم.

** روبرت مالتوس(1766-1834): اقتصادي وديمغرافي إنجليزي، درس التاريخ والاقتصاد السياسي وبحث في مجال علم السكان (الديمغرافيا) اشتهر مالتوس بنظريته المعروفة بـ"المالتوسية" نسبة إليه والتي حاولت تفسير ظاهرة تنامي الفقر ومشكلاته في العالم بتزايد أعداد السكان ونموها بمعدلات تفوق معدلات نمو المحاصيل الزراعية، مما سيؤدي الى اختلال التوازن. تأثر مالتوس بالفلسفة الليبرالية وكان واسع الاطلاع على أفكار المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد، حيث قرأ كتابات آدم سميث وكان على صحبة مع ديفد ريكاردو. ألف كتابه "مقالة حول مبدأ السكان" عام 1798، وله مؤلف آخر بعنوان "مبادئ الاقتصاد السياسي" نشر سنة 1820.

أي عدد ساعات العمل المباشر (الجهد الإنساني) وغير المباشر(العمل المخزون في رأس المال والطبيعة) التي بذلت في إنتاج السلعة.

4- نظرية التشغيل: اعتقد الكلاسيك أن حجم التشغيل لابد أن يتحدد عند مستوى التشغيل الكامل، وأن كل بطالة بين العمال لا يمكن أن تكون إلا ظاهرة عابرة. وحجتهم في ذلك أنه إذا وجدت البطالة لأي سبب فسوف يتنافس العمال فيما بينهم للعمل لدى المنظمين، فيترتب عن ذلك انخفاض أجر العمال مما يدفع المنظمين إلى تشغيل العاطلين، وتنتهي البطالة.

5- نظرية التوزيع: يرتبط تحليل التوزيع عند سميث والكلاسيك عموما بالمنهاج الطبقي، هذا المنهاج يتضمن توزيع الدخل تبعا للطبقات الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر وهي طبقة العمال، وطبقة ملاك الأراضي، وطبقة أصحاب رؤوس الأموال. الأجور تدفع للعمال، الأرباح يحصل عليها الرأسماليون، والريع يحصل عليه ملاك الأراضي.

أ- **الأجور:** يعتقد الكلاسيك بأن العمل هو سلعة كباقي السلع، وأن ثمن العمل هو الأجر ويتحدد هذا الأخير على أساس عدد ساعات العمل اللازمة لإنتاج تلك السلعة (العمل)، أي هي ساعات العمل اللازمة لإنتاج كمية المواد الغذائية الضرورية لحفظ حياة العامل وتمكينه من الاستمرار في العمل وهو ما يعرف بمستوى الكفاف.

ب- **الأرباح:** عرفها سميث بأنها الإيرادات التي يحصل عليها صاحب رأس المال بعد استبعاد النفقات التي دفعت من أجل الإنتاج. ويرى سميث أن مستوى الأرباح يتحدد بالعوامل التالية:

- الأجور ولها علاقة عكسية مع الأرباح، فتزداد الأرباح بانخفاض الأجور والعكس صحيح؛
- المنافسة كلما اشتدت المنافسة بين أصحاب الأعمال فإن الأرباح تتجه نحو الانخفاض؛
- رأس المال: كلما زاد رأس المال المستثمر زادت الأرباح والعكس صحيح؛
- التقدم والتطور التكنولوجي: كلما زاد استخدام رأس المال في ظل التقدم فإن المنافسة تشتد ويؤدي ذلك إلى تراجع الأرباح؛

ج- الريع: يرى سميث في كتابه ثروة الأمم أنه يتعين على مستغل الأرض أن يدفع لمالكها مقابل الترخيص له بالعمل فيها والانتفاع بها، وذلك بان يعطي للمالك جزءا مما ينتجه وهو الريع. ويتغير مقدار الريع حسب خصوبة وموقع الأرض؛

6- نظرية الكلاسيك في النقود: يعتبر الكلاسيك دور النقود في الحياة الاقتصادية دورا ثانويا حيث يعتبرونها مجرد وسيط للمبادلة وأداة لقياس القيم، ولم يعطوا أهمية لوظيفتها كمخزن للقيمة وأداة لحفظ المدخرات، لهذا فقد تصوروا أن النقود مجرد أداة تسهل سير الاقتصاد وتيسير المبادلات، والسبب في ذلك أنهم كانوا يروا أن الاقتصاد عيني وليس نقدي.

7- نظرية التجارة الخارجية: اهتم الكلاسيك بالتجارة الدولية ولكن ليس على نفس الأسس الميركنتيلية، فقد دافعوا عن الحرية الاقتصادية في هذا المجال، وبنوا دفاعهم ذلك على أساس أن إتباع سياسة تجارية حرة يؤدي بكل بلد إلى أن يتخصص في إنتاج السلع التي يتمتع بها بأكبر ميزة نسبية، مما يؤدي إلى الاستفادة من مبدأ التخصص وتقسيم العمل على النطاق الدولي، ومن ثمّ يتمكن كل بلد من استخدام موارده الاقتصادية بأكبر كفاءة ممكنة ويتحقق النمو الاقتصادي بمعدلات اكبر مما لو لم يحدث التخصص.

تعتبر نظرية الميزة النسبية من الأفكار التي اشتهر بها ريكاردو، كما تعرف أيضا بنظرية التكاليف النسبية. وقد بنى ريكاردو نظريته على الفرضيات التالية:

- سيادة المنافسة الكاملة في جميع الأسواق الداخلية والخارجية؛ -التوظيف الكامل لجميع عناصر الإنتاج؛
- حرية انتقال عناصر الإنتاج داخليا فقط؛ -تشابه أذواق المستهلكين؛- اعتبار النقود وسيط للتبادل؛
- هناك دولتين فقط تنتجان سلعتين فقط؛ - عدم وجود تكاليف الشحن والنقل؛

ومن أجل توضيح هذه النظرية يمكن الاستعانة بالجدول التالي:

عدد الساعات اللازمة لإنتاج وحدة واحدة من القماش وأخرى من القمح في انجلترا والبرتغال

البلد	القماش	القمح	**نسبة ثمن وحدة من القماش الى ثمن وحدة من القمح**	**نسبة ثمن وحدة من القمح الى ثمن وحدة من القماش**

انجلترا	100	120	0.83=120/100	1.2=100/120
البرتغال	90	80	1.12=80/90	0.88=90/80

شرح الجدول: البرتغال تتمتع بميزة مطلقة في إنتاج السلعتين، حيث أ ن تكاليف إنتاج القمح والقماش فيها أقل من تكاليف إنتاج السلعتين في انجلترا. ولكن عند حساب التكاليف النسبية يتضح أن وحدة القمح تساوي 1.2 وحدة قماش في انجلترا وتساوي 0.88 وحدة من القماش في البرتغال(بعبارة أخرى وحدة قمح في انجلترا تبادل ب1.2 وحدة قماش، بينما في البرتغال تبادل ب0.88 وحدة)

ووحدة من القماش تساوي 0.83 وحدة قمح في انجلترا بينما تساوي في البرتغال 1.12 وحدة قمح.

يتضح مما سبق أن انجلترا لها ميزة نسبية في إنتاج القماش والبرتغال لها ميزة نسبية في إنتاج القمح وعليه يجب على انجلترا أن تتخصص القماش والبرتغال تتخصص في إنتاج القمح.

والنتيجة الاختلاف في التكاليف النسبية للبلدين شرط ضروري وكاف لقيام التجارة الخارجية.

III- تقييم الفكر الكلاسيكي:

1- **مزايا الأفكار الكلاسيكية:** لقد دفعت أفكار المدرسة الكلاسيكية الفكر الاقتصادي دفعة كبيرة نحو الأمام، فهي المدرسة التي قام عليها الاقتصاد كعلم مستقل. فقد رسم سميث ميدان البحث الاقتصادي في كتابه ثروة الأمم بطريقة جعلت جميع المفكرين الذين جاءوا بعده يسترشدون بأفكاره.

2- الانتقادات التي وجهت للمدرسة:

أ- **نقد نظرية القيمة:** وجهت انتقادات لنظرية القيمة المستندة إلى العمل على اعتبار أن العمل ليس عنصر الإنتاج الوحيد، إلى جانب صعوبة رد بقية عناصر العمل (الطبيعة ورأس المال) إلى العمل وقياسها به. كذلك إهمالها الجانب الشخصي في القيمة وهو المنفعة التي يحصل عليها المستهلك.

ب- **نقد نظرية التوزيع:** من الانتقادات التي وجهت لها أنها قاصرة ومحدودة في مفهومها فالكلاسيك الأوائل لم يميزوا بين الربح والفائدة، أي لم يميزوا بين المنظم وهو الذي يشرف على إدارة المشروع ويتحمل المخاطرة وبين أصحاب رؤوس الأموال.

ج- **نقد نظرية النقود:** وجهت لها انتقادات من قبل العديد من المدارس الاقتصادية بخصوص إهمال الكلاسيك لوظيفة النقود كمخزن للقيمة، لاسيما كينز الذي يرى بأن وظيفة النقود كمخزن للقيمة لا تقل أهمية عن وظيفتها كوسيط للمبادلة، موضحا ذلك بان ميل الأفراد للاحتفاظ بالنقود يزيد عبر الزمن فيقل الإنفاق النقدي على السلع ويقل الطلب الكلي وتنشأ البطالة.

د- **نقد نظرية التشغيل**: إن أشد انتقاد وجه للمدرسة الكلاسيكية كان بخصوص نظريتهم في التشغيل وخاصة من المدرسة الكينزية، حيث أوضح كينز أن انخفاض الأجور بدلا من أن يؤدي إلى انخفاض البطالة والقضاء عليها كما يعتقد الكلاسيك يمكن أن يؤدي إلى زيادتها، فحسب رأيه انخفاض الأجور يترتب عليه انخفاض دخل العمال ومن ثم انخفاض طلبهم على السلع مما يدفع المنتجين إلى تخفيض الإنتاج والتخلص من جزء من العمال فتزداد البطالة.

ه- **نقد نظرية السكان لمالتوس**: اعتبرت نظرية مسرفة في التشاؤم. كما أن أهم انتقاد وجه له هو عدم توقعه أن التقدم التكنولوجي ومكنكة الزراعة سوف يؤدي إلى زيادة وتطوير الإنتاج الزراعي بصورة كبيرة، كما أدى إلى تحسين نوعية المنتجات. بالإضافة إلى ثورة المواصلات التي يسرت عملية نقل البضائع على المستوى الدولي وخفضت نفقاتها ما ساهم في زيادة الإنتاج زيادة كبيرة.

و- **نقد سياسة الحرية الاقتصادية المطلقة** التي ترتب عنها مشكلات عديدة منها: ظهور الاحتكارات، تتابع الأزمات، التفاوت في توزيع الدخل والثروة،..

رابعا: المدرسة النيوكلاسيكية (مدرسة الكلاسيك المحدثين)

I- عوامل ظهور المدرسة: في النصف الأخير من القرن التاسع عشر استمر التقدم الصناعي في انجلترا وفرنسا وبلدان أوروبا الغربية، وازداد الرخاء بصورة لم تكن متوقعة من قبل. وظهر وكأن النمو

الاقتصادي لن يعد يمثل مشكلة وبأنه يمكن أن يتم من تلقاء نفسه بصورة طبيعية. إلى جانب ذلك إخفاقات تنبؤات كارل ماركس بصدد زوال النظام الرأسمالي رغم حدوث حالات كساد متكررة وبطالة وازدياد حجم المشروعات الصناعية.

لقد كان لهذه التغيرات في البيئة الاقتصادية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تأثيرا في البيئة الفكرية، حيث توجه اهتمام الاقتصاديين إلى تحليل السلوك الاقتصادي، مع التركيز على تحليل سلوك الوحدة الاقتصادية (المستهلك، المشروع،الصناعة) وكيف تتخذ هذه الوحدات قراراتها. كما اعتقدوا بأن آلية السوق كفيلة بتوزيع الموارد وتوجيهها إلى أفضل الاستخدامات.

كما مثل هذا الاتجاه تطورا في طبيعة التحليل الاقتصادي حيث أن دراسة السلوك الاقتصادي للوحدات جعل للاقتصاد الجزئي المكانة الرئيسية في العلم، وهذا على عكس ما كان عليه الحال عند الكلاسيك حيث تركزت اهتماماتهم على المسائل الكلية مثل الدخل الوطني وتوزيعه ونموه (الاقتصاد الكلي).

لقد ظهر هذا التيار الفكري والذي عرف –بداية- بالفكر الاقتصادي الحدي في وقت واحد في انجلترا والنمسا وسويسرا على يد ثلاثة من الكتاب وبشكل مستقل الواحد عن الأخر وهم: Jevons(1835-1882), Menger(1840-1921), Walras(1834-1910) لقد ركز هؤلاء تحليلاتهم على فكرة المنفعة الحدية، أي منفعة الوحدة الأخيرة، ولهذا أطلق البعض عليها المدرسة الحدية كما أطلق آخرون عليها المدرسة الرياضية لأن كل منJevons و Walras طبق طريقة رياضية في البحث. ثم قام Alfred Marshall* بتطوير الأفكار الحدية بشكل كبير وحولها إلى ما عرف فيما بعد بالمدرسة النيوكلاسيكية فقد أدخل المقاربة الهندسية في التحليل الاقتصادي وحاول دمج الجزء الأفضل من أفكار المدرسة الكلاسيكية مع الفكر الحدي وأنتج ما عرف بالاقتصاد النيوكلاسيكي. ويعتبر ألفرد مارشال من أبرز المفكرين الاقتصاديين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد تضمن كتابه الشهير (مبادئ الاقتصاد) المنشور سنة 1890 أهم أفكاره.

II- ملامح ومبادئ المدرسة النيوكلاسيكية:

- التركيز على الوحدة الاقتصادية (المستهلك، المشروع ، الصناعة) وكيفية تأثيرها في السوق، (الاهتمام بالتحليل الاقتصادي الجزئي)؛
- الابتعاد عن التعبيرات اللفظية والاعتماد على القياس الكمي واستخدام النماذج الرياضية؛
- الاعتقاد بان النمو الاقتصادي يتم بصورة تلقائية وانه لا ضرورة لدراسته أو البحث فيه؛
- آلية السوق تحقق دائما التوازن في الاقتصاد؛
- إدخال عنصر الزمن في التحليل الاقتصادي؛
- الطلب والعرض هما المحددان الرئيسيان لأسعار السلع والخدمات وعناصر الإنتاج- على خلاف الحديين الأوائل الذين أكدوا أن الطلب وحده هو محدد الأسعار-؛
- الدفاع عن الحرية الاقتصادية؛

III أبرز إسهامات ألفرد مارشال: فيما يلي نلخص أهم الأفكار والتحليلات التي جاء بها ألفرد مارشال:

1- يرى مارشال بأن الاستهلاك هو الأساس وهو الغرض من النشاط الاقتصادي، وقد استحدث فكرة فائض المستهلك الذي يمثل الفرق بين ما يكون المستهلك راغبا في دفعه وبين الثمن الذي يدفعه فعلا.

2- أدخل مارشال فكرة المرونة في التحليل الاقتصادي، ويقصد بها مارشال مدى تأثير التغيرات في سعر السلعة على الكمية المطلوبة منها.

3- درس مارشال فكرة التوازن في الأسواق المختلفة: المنافسة التامة، وسوق الاحتكار التام.

* **Alfred Marshall** (1842-1924): عالم اقتصادي بريطاني، من مؤسسي المدرسة الكلاسيكية الجديدة، ويعتبر واحد من الاقتصاديين الأكثر تأثيرا في عصره

4- جمع مارشال في نظريته حول القيمة والأسعار بين المنفعة و التكلفة ولهذا فان الأسعار تتحدد عنده من خلال تقاطع منحنى الطلب (الذي يحدده هيكل التكلفة الحدية) ومنحنى العرض (الذي يحدده هيكل التكلفة الحدية).

5- تركزت نظريته للإنتاج حول مسألتين: **الأولى**: الكيفية التي يقوم المنظم بموجبها مزج عناصر الإنتاج، فحسب رأيه المنظم الرشيد سوف يختار التشكيلة من عناصر الإنتاج التي تحقق أدنى تكلفة من أجل تحقيق هدف تعظيم الأرباح. أما بالنسبة **للثانية:** فهي التعديلات الواجب إدخالها في هذا المزيج حينما تتغير ظروف السوق وفي ظل التمسك بهدف تعظيم الأرباح.

6- نظريته في التوزيع استندت إلى التفسير الوظيفي لتوزيع الدخل الذي يربط الدخل بمساهمة عناصر الإنتاج، ولهذا فان العرض والطلب هي التي تحدد عوائد عناصر الإنتاج (الأجور، الريع، الأرباح، الفائدة). وهو ما يمثل رفضا للنظرية الكلاسيكية وكذا النظرية الماركسية اللتان تستندان على التوزيع الطبقي.

المراجع المعتمدة في إعداد هذه المحاضرة:

1. الطيب داودي، **مدخل لعلم الاقتصاد في الفكر الرأسمالي-الاشتراكي-والإسلامي**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان 2010.
2. جيمس فولتشر، **مقدمة قصيرة عن الرأسمالية**، ترجمة رفعت السيد علي، دار الشروق، القاهرة، 2011.
3. هيفاء عبد الرحمان التكريتي، **آليات العولمة الاقتصادية وآثارها المستقبلية في الاقتصاد العربي**، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص ص.45-46.
4. حازم الببلاوي، **دليل الرجل العادي إلى تاريخ الفكر الاقتصادي**، ، دار الشروق، القاهرة 1995
5. حازم الببلاوي، **النظام الاقتصادي الدولي المعاصر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000
6. حسين عمر، **موسوعة الفكر الاقتصادي**، الجزء1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، سنة النشر غير موجودة.
7. حسين عمر، **النظريات الاقتصادية**، دار الكتاب الحديث، سنة النشر غير موجودة، القاهرة
8. مدحت القريشي، **تطور الفكر الاقتصادي**، الطبعة2، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
9. محمد عمر أبو عبيدة، عبد الحميد محمد شعبان، **تاريخ الفكر الاقتصادي**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008
10. فؤاد مرسي، **الرأسمالية تجدد نفسها**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990
11. رابح بوقرة، عبد الله دخبابة، **الوقائع الاقتصادية من التاريخ القديم إلى بداية القرن الواحد والعشرين**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2014
12. عتيقة وصاف، **محاضرات في مقياس تاريخ الفكر الاقتصادي**، مقدمة لطلبة السنة الثانية علوم اقتصادية، جامعة محمد خيضر –بسكرة-، 2011/2010.
13. Gianni Vaggi, Peter Groenewegen, **Aconcise History of economic thought : from Mercantilism to Monetarism**, Palgrave Macmillan,United Kingdom,2003